

مُقَدِّمَةٌ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، نَحْمَدُهُ ، وَنَسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ .
 يَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (١٢٢) [التوبة : ١٢٢] . وَقَالَ ﷺ : «خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا» (١) .
 أما بعد :

فما من شك : أن خير ما يَغْنَمُهُ المسلمُ في هذه الحياة الفقه في الدين ، لا سيما ما يتعلق بفقه الإصلاح بين الناس ، وغير ذلك من أبواب الفقه ، وحرصت أن يكون هذا البحث في جانب من جوانب أبواب الفقه ، أقدمه في رسالة إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة أفريقيا العالمية لنيل درجة الدكتوراه في الفقه المقارن ، وموضوعها "إصلاح ذات البين في ضوء الشريعة الإسلامية والعرف القبلي في اليمن" .

أهمية الموضوع :

تُعَدُّ المشكلات والنزاعات المسلحة وغير المسلحة من المشكلات التي أخذت حيزاً كبيراً في المجتمعات الإنسانية محلياً وإقليمياً ودولياً ، وأصبح معلوماً أن القطيعة وسفك الدماء التي تقع بين الأفراد والجماعات سببها التنازع والتخاصم ، ومن هنا تنبع أهمية هذه الدراسة التي تتناول موضوع إصلاح ذات البين ، سعياً لقطع النزاعات ، وإعادة المتخاصمين إلى جادة الحق والصواب ، فضلاً عن أنها تلفت الانتظار إلى أفضل

الخيارات والسبل ؛ لفض النزاع القائم بين المتخاصمين ، وبهذا يتضح لنا أهمية الموضوع والحاجة الماسة إليه، حيث دعت الشريعة الإسلامية إلى إصلاح ذات البين ، قال تعالى : ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ [النساء : ١٢٨] ، وقال ﷺ : « اذهبوا بنا نصلح » (١) .

أسباب اختياره :

الأسباب التي دعنتني إلى كتابة هذا الموضوع كثيرة، يمكن الإشارة إليها بالآتي :

أولاً : صلة هذا الموضوع بتخصصي ، وحبِّي لمادة الفقه الإسلامي منذ دراستي في المرحلة الثانوية .

ثانياً : جدة الموضوع ، حيث لم أجد - حسب علمي - من أفرد هذا الموضوع ببحث مستقل يغني في بابه .

ثالثاً : الرغبة في سدِّ الفراغ الموجود في المكتبة الإسلامية ، وذلك بإجراء دراسة متخصصة تبحث في موضوع إصلاح ذات البين بتجميع شتات مسائله المنثورة في كتب الفقه وجمعها في مكان واحد .

رابعاً : حاجة الناس الواقعية لهذا الموضوع .

خامساً : تفعيل دور إصلاح ذات البين الذي يعمل على إنهاء الخصام .

سادساً : كثرة النزاعات والاختلافات بين القبائل والأفراد وانتشار الثار .

مشكلة البحث :

إن اكتشاف المشكلة وتعليلها شرط أساس في البحث العلمي ؛ لذا فإن البحث العلمي عادةً يبدأ بموقف غامض أو مشكل - أي غير محقق - يدركه الباحث من خلال ملاحظاته أو تجاربه أو أطلاعاته ، كأن يجد شيئاً معيناً ليس صحيحاً أو يحتاج إلى مزيد من الإيضاح والتفسير (٢) .

(١) رواه البخاري في كتاب الصلح ، باب (قول الإمام لأصحابه " اذهبوا بنا نصلح ") حديث رقم (٢٦٩٣) ، صحيح البخاري مع فتح الباري ٥ / ٣٠٠ .

(٢) ينظر : بشير محمد حسين ، بحوث الإعلام الأساسي والميادين ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، ص ٩٦ .

وقد وجد الباحث أن هناك جهلاً من بعض القائمين بإصلاح ذات البين فيما يخص الشريعة وآدابها، والطرق والوسائل في حلّ بعض القضايا ، وأن التجربة التي مرّ بها الباحث جعلته يستبين خطورة الجهل بهذه القضية التي تُعدّ من القضايا التي تلامس حياة الناس ، وقد رأى أن هذه المشكلة تحتاج إلى توضيح الطرق والإجراءات التي يتم بها حلّ النزاع من خلال دراسة علمية متعمّقة تتوافق مع منهج الشريعة الإسلامية ، لأنّ الجهل في مثل هذه القضايا يؤدي إلى قطع الأرحام وسفك الدماء ونهب الاموال وإشاعة الجريمة في المجتمعات المسلمة .

منهج البحث :

لقد سلك الباحث منهجاً استقرائياً موضوعياً يعتمد على بحث كل جزئية من جزئيات هذا البحث عند كافة المذاهب ، معتمداً الاستدلال للتدليل على المسائل الفقهية والحكم عليها . واعتمد على :

- أمّهات الكتب الفقهية ، وكتب الحديث فيما يتعلق بمسائل الفقه الخلافية .
- الكتب التربوية والإعلامية والدعوية فيما يختص بالوسائل ، والأساليب ، والطرق ، والإجراءات .

كما حرص على:

- نسبة الأقوال إلى قائلها مقارناً بين مختلف الآراء ، مرجحاً ما أراه مناسباً ، ومواكباً للدليل من دون تهيب ، أو تعصّب .
- عزو الآيات القرآنية إلى سورها ، مشيراً إلى رقم الآية .
- تخريج الأحاديث من مصادرها ومراجعتها الاصلية .
- عزو الأبيات إلى قائلها إلا ما ندر .
- الترجمة للأعلام غير المشهورين الذين وردوا في الرسالة .
- وضع المصادر والمراجع في ذيل كل صفحة .
- تدويل البحث بخاتمة تحتوي على أهم النتائج التي توصلت إليها .

- كما أورد أهم التوصيات .
- المصادر والمراجع .
- الموضوعات .
- أهداف البحث :

تهدف هذه الدراسة لتحقيق أغراض عدة منها :

- [١] تسليط الضوء على مواطن الخلل ، الذي يمارس عند إجراءات عملية إصلاح ذات البين بين المتخاصمين عند كثير ممن يقومون بعملية الصلح .
- [٢] الوصول إلى أفضل الوسائل ، وأنجح السبل في تحقيق إصلاح ذات البين ، في ضوء الشريعة الإسلامية ، والعرف القبلي في اليمن أنموذجاً .
- [٣] إحياء فكرة التصالح ، وتشجيع الناس على اللجوء إلى إصلاح ذات البين لدى المتخاصم وفق الشريعة الإسلامية؛ حتى يتم التخفيف على الجهات الحكومية .
- [٤] توضيح الطرق السليمة في حل النزاعات ، وترغيب المتصالحين في تنفيذ القرارات الصادرة عن اللجان القائمة بالصلح .
- [٥] العمل على تشجيع وتدعيم ما يوافق الشريعة الإسلامية في العرف القبلي ، وردّ ما يخالفها .

فروض البحث :

إذا كانت الفروض إجابات احتمالية مؤقتة عن أسئلة ، فإنها تعين الباحث على توجيه جهده في الاتجاه الصحيح .

وعليه فإن البحث يضع الفروض الآتية :

- [١] إن قضية الخصومة أصبحت متفشية في المجتمعات المعاصرة بشكل أكبر ، لا سيما في اليمن .
- [٢] هناك حاجة ماسة وقوية لبيان أهمية الصلح ، وأبعاده النظرية ، والآثار المترتبة عليه على المستوى الفردي والجمعي .

[٣] هناك قصورٌ في أداء أجهزة الدولة المعنية بإصلاح ذات البين ، مما يستدعي وضع التصورات والمقترحات لتعزيز دورها .

[٤] إن كثيراً ممن يقومون بعملية الصلح ليس لديهم العلم والخبرة والكفاية بإجراءات الصلح وفق الشريعة الإسلامية الغراء .

[٥] ضعف التواصل بين الدولة ، ومؤسسات المجتمع الشعبية .

حدود البحث :

لكل عمل حدود يقف عندها الإنسان ، والبحث جزء من هذا العمل ، حيث إن الباحث لا يستطيع أن يحيط في بحثه بكل المتغيرات والآثار مُتجمعة ، ومن هذا المنطلق قصرت بحثي في حدود موضوع إصلاح ذات البين ، تعريفه ، ومشروعيته ، وأركانه ، وشروطه ، وأقسامه ، وطرق انقضائه ، وعوامل الإفساد ، ووسائل الإصلاح ، وصفات المصلح وأقسام الصلح سواء كان علي مستوى الحياة الزوجية ، أو وعلى مستوى الدولة ، وتوضيح إجراءات الصلح على المستوى الشعبي المتمثل في العرف القبلي لدى بعض القبائل اليمنية .

الدراسات السابقة :

رغم أهمية الدراسة في هذا الموضوع الذي هو إصلاح ذات البين في ضوء الشريعة والعرف القبلي في اليمن ، إلا أنني لم أجد - حسب اطلاعي - من أفرده برسالة مباشرة علمية وشاملة ، وهذا لا ينفي وجود دراسة في كتب متفرقة تبين أحكام الصلح تحليلاً ، وتحريماً ، وهي ضمن أبواب الفقه في المذاهب الإسلامية وشروح كتب الحديث . وكذلك وجود أبحاث متفرقة في بعض الكتب الحديثة تبين أهمية إصلاح ذات البين ، وواجب الخصوم ، وما ينتج عن الخصومة من أضرار على الفرد والمجتمع ، وبيان الواجب على المصلحين والمتخاصمين ، وقد كتبوا في ذلك نثراً وشعراً .

ولكن لم أجد من كتب - حسب علمي - في كيفية إصلاح ذات البين ، وبيان ، وعوامل الإفساد ، ووسائل الإصلاح ، وإجراءات الصلح على مستوى الفرد ، والقبيلة ، والدولة .

ومن هنا تميّزت دراستي بالآتي :

- [١] أنها جمعت شتات الموضوع .
 - [٢] أنها بيّنت عوامل الإصلاح ، ووسائل الإفساد .
 - [٣] أنها أوضحت الطرق والإجراءات المساعدة لمن يرغب في إصلاح ذات البين .
- أما الدراسات السابقة ، فتتمثل في مباحث كتب الفقه المتفرقة ، وبحوث جزئية لا ترقى إلى مستوى البحث العلمي المتكامل والشامل لأطراف القضايا التي تناولتها ؛ وعليه فإنّ أبرز المصادر والمراجع التي استندت إليها تمثلت بالآتي :

- [١] الفقه .
 - [٢] التفسير .
 - [٣] السيرة .
 - [٤] كتب التربية والإعلام الحديثة .
- وكلّ المصادر التي أفدت منها مثبتة في قائمة المصادر والمراجع .
- فإن أحسنت فمن الله ، وإن أسأت فمن ضعفي وتقصيري ، وحسبي أنّي بذلت الجهد المستطاع ، وفوق كلّ ذي علم عليم .

الصعوبات التي واجهتني :

لقد واجهت الباحث معوقات كثيرة ، أبرزها :

- [١] محدودية الإمكانيات المتوافرة في موطن البحث .
- [٢] المشاغل الخاصة والعامة .
- [٣] قلة المصادر والمراجع في موضوع البحث .

تخطيط البحث وتقسيمه :

بعد دراسة مستفيضة في هذا الموضوع ، ظهر لي أن أقسمه على أبواب ، وفصول ، ومباحث .

جاءت هذه الرسالة على أربعة أبواب، وثمانية عشر فصلاً تسبقها المقدمة وتتبعها الخاتمة وقائمة الفهارس .

تحدثتُ في المقدمة عن أهمية الموضوع، والأسباب التي دفعتني لاختياره، ومشكلة البحث ، والمنهج الذي أسيرُ عليه في إعداد هذا البحث ، وذكرتُ أهدافه ، وفروضة ، والصعوبات التي واجهتني ، ثم تخطيط البحث وتقسيمه .

الباب الأول : التمهيد :

ضمنتُ هذا الباب تعريف الإصلاح ، أهميته ، حكمه ، وينقسم إلى ثلاثة فصول كالآتي :

- خصصت الفصل الأول لتعريف إصلاح ذات البين .
- وأفردت الفصل الثاني لبيان أهمية الإصلاح .
- أما الفصل الثالث فبيّنتُ فيه حكم الإصلاح .

وَضَمَنْتُ الْبَابَ الثَّانِي : أركان الصلح ، شروطه ، خصائصه ، خطورة فساد ذات البين، دعوة الخصوم للصلح وما يجب عليهم ، وأنواع الصلح ، والصلح في الأموال ، والدماء ، والحدود ، وتوثيقه، ومبطلاته ، وآثاره، واختلافه عن غيره ، وقد تم تقسيمه على سبعة فصول :

- تناولت في الفصل الأول أركان الصلح .
 - وعرضت في الفصل الثاني شروط الصلح .
 - أما الفصل الثالث فقد اشتمل على خصائص الصلح، وخطورة فساد ذات البين.
 - وأفردت الفصل الرابع لدعوة الخصوم للصلح ، وما يجب عليهم .
 - واحتوى الفصل الخامس على أنواع الصلح .
 - وجاء الفصل السادس لبيان : الصلح في الأموال ، والدماء ، والحدود .
 - أما الفصل السابع فخصصته لتوثيق الصلح، ومبطلاته، وآثاره، واختلافه عن غيره.
- الباب الثالث : تضمن :** بيان عوامل الإفساد ، ووسائل الإصلاح ، وأساليبه ،

وصفات المصلح ، وينقسم على أربعة فصول:

- الفصل الأول : عوامل الإفساد .
 - الفصل الثاني : وسائل إصلاح ذات البين .
 - الفصل الثالث : أساليب عملية لإصلاح ذات البين .
 - الفصل الرابع : صفات المصلح .
- الباب الرابع :** يتضمن أقسام المصلح ، وينقسم إلى أربعة فصول، وهي كالآتي:
- الفصل الأول : إصلاح ذات البين على مستوى الحياة الزوجية .
 - الفصل الثاني : المصلح في العرف القبلي .
 - الفصل الثالث : المصلح مع البغاة .
 - الفصل الرابع : المصالحة مع الدولة الكافرة .

الخاتمة : وخصصتها لإبراز أهم النتائج التي توصلت إليها ، والتوصيات التي رأيت أنه من الضروري الأخذ بها ، لا سيما للراغب في إصلاح ذات البين سواءً على مستوى الدولة أو المجتمع .

وأخيراً ، فإنني قد بذلت قصارى جهدي في إخراج هذه الرسالة بثوب جميل ، ومع هذا لا أزعّم أنني قلة وصلتُ بها إلى الكمال ، فالنقص حاصل ، وهذا جهدُ البشر ، فإن جاءت الرسالة مقبولة فذلك الفضل من الله ، وإن كانت الأخرى فيشفعُ لي جهدي المتواضع ، وما كان فيها صواباً فمن الله ، وما كان فيها من خطأ فمني ومن الشيطان ، والله ورسوله بريهان منه ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

وكتبه

كامل أحمد عبد الدائم القاضي

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين